

الأخلاق بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية

وديان خالد عبيد

جامعة الجنان لبنان طرابلس - كلية الآداب والعلوم الإنسانية

إشراف: أ.د. عاصم الكيالي

Ethics between Islamic and Western Civilization

Wadian Khaled Obeid

widyanobaid@gmail.com

Supervision: Prof. Dr. Asim Kayyali

الملخص

تتاول هذا البحث الأخلاق بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية، وذلك من خلال مقارنة مبادئ الأخلاق والتعامل بين الناس بين المنهج الإسلامي والمنهج الغربي، وتوضيح الفرق بينهما، وكيفية تأثير الحضارة الغربية بشكل سلبي على أخلاق المجتمع الإسلامي. إن الانفتاح الغربي عند العرب وتنشئة المجتمع المسلم على كل ما يدعوا إليه الغرب، وزرع أفكارهم وتعاليمهم في نفوس الشباب، كل ذلك أظهر صور عديدة لانحراف هذا المجتمع، وابتعاده عن الهوية والثقافة الإسلامية ومن مظاهر الانحراف كان غياب الترابط بين العقل وما جاء به النص الشرعي، والابتعاد عن الدين وأخلاقياته بسبب التربية الغربية وغياب التربية الإسلامية الحقة، والانحراف بالخلاف الفقهي عن التسليم للنص الشرعي. الكلمات المفتاحية: (الأخلاق - الحضارة الإسلامية - الحضارة الغربية).

This research deals with ethics between Islamic and Western civilization, by comparing the principles of ethics and dealing with people between the Islamic approach and the Western approach, explaining the difference between them, and how Western civilization has negatively affected the ethics of Islamic society. The westernization of the Arabs, the upbringing of this contemporary generation on all that the West preaches, and the implantation of their ideas and teachings in the hearts of the youth, all of this has shown many forms of deviation of this generation, and its departure from the Islamic identity and culture, and among the manifestations of deviation was the absence of coherence between the mind and the Sharia text, the departure from religion and its ethics due to western education and the absence of true Islamic education, and the deviation of jurisprudential disagreement from submission to the Sharia text. Keywords: (Ethics - Islamic Civilization - Western Civilization).

المقدمة

إن الفكرة الرئيسية التي يسعى الغرب إلى تحقيقها هي كسر بواذر القوة عند المسلمين، وجعلهم تحت جناحهم ورحمتهم، أي يمكن القول إنهم يسعون إلى السيطرة عليهم والسعي إلى إلغاء وجودهم وإضعاف كياناتهم، ولهذا فقد حاولوا بكل ما لديهم من وسائل للسيطرة على أفكار أبناء الجيل الإسلامي، وخاصة في العصر الحالي، وذلك عن طريق غرس أفكارهم الغربية المعبية في ذهن هذا المجتمع القيم، وتربيتهم على مبادئهم وطباعهم وسبلهم في العيش والتعامل، والأخلاق التي يعملون بها في بلادهم الغربية الضعيفة. وبهذه الطريقة ظهر الغزو الثقافي الغربي الذي مثله الغرب في بلادنا لتحقيق مآربه فيها، وبالتالي ظهرت الفتن والفساد الديني والأخلاقي، وانتشرت مظاهر اختلاف القلوب وإماتة السنن ومعارضة الدين والشريعة. ووقع الناس في الغفلة التي أبعدتهم عن دينهم وثقافتهم الإسلامية، ولكن وبسبب مكانم القوة الموجودة في العقيدة الإسلامية وفي المجتمع الإسلامي المعاصر يُمكن أن يتم التغلب على هذا الشتات الديني الذي يعيشه المجتمع الإسلامي، وأن يتم ترسيخ معالمه في نفوس الأجيال التي ستكون مصدر القوة والسبب الذي سيعيد إحياء هذه الحضارة والثقافة الإسلامية بقوة وعزيمة، وسيساهم في بقائها وإضعاف ثقافات الغرب البغيضة.

وهذا البحث سيتناول بشكل مختصر الأخلاق بين الحضارة الإسلامية والغربية، والتحديات التي واجهها الإسلام بسبب الغزو الثقافي الغربي عليه، وما عاناه المجتمع المسلم من معوقات وقفت في وجه تطبيقه لدينه.

الإشكالية

عندما نغوص في المقارنة بين حضارة الغرب والحضارة الإسلامية من حيث الأخلاق، سنعثر على عناصر وعوامل كثيرة تؤدي إلى طريق واحد، وهو الفرق الشاسع بين هاتين الحضارتين فيما يخص الأخلاق؛ ومن بين تلك العناصر عنصر الدين بوصفه عاملاً قد يكون حجر عثرة بين الحضارات نتيجة الاختلاف فيه. في ضوء هذه المقارنة سيجيب هذا البحث على السؤال الآتي: ما الاختلاف في الأخلاق بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية؟

أهمية البحث

تتبع أهمية البحث من أهمية الإصلاح الاجتماعي وذلك لا يكون إلا عبر الإرشاد والتوجيه التربوي والدعوي وهذا مجاله في الأخلاق عمومًا، من خلال تزكية النفس وتطهير القلب من الرذائل وتحليلتها بالفضائل. إضافة إلى أهمية تسليط الضوء على أسباب تأخر المجتمعات الإسلامية عن غيرها من المجتمعات الأخرى والذي يعود سببه إلى محاربة الغرب للمجتمعات الإسلامية وغزو أفكاره، مما جعل المجتمعات الإسلامية في غالبيتها تعاني من ضعف بصيرتها وسلوكياتها للأداب العامة التي رسمها القرآن الكريم، حسًا ومعنىً ظاهرًا وباطنًا.

تقسيم البحث

اقتضت الدراسة أن يتم تقسيمها كما يأتي: المبحث الأول: الأخلاق بين الحضارتين الإسلامية والغربية المطلب الأول: مفهوم الأخلاق في الحضارة الغربية المطلب الثاني: مفهوم الأخلاق في الحضارة الإسلامية المبحث الثاني: التحديات الأخلاقية للمجتمع الإسلامي المطلب الأول: الغزو الثقافي للمجتمع المسلم المطلب الثاني: الانفتاح على الأفكار الغربية خاتمة

المبحث الأول الأخلاق بين الحضارتين الإسلامية والغربية

تُعد الأخلاق منظومة من القيم والمعايير السلوكية التي توجه الفرد إلى الخير وتبعده عما يجب عليه اجتنابه في حياته ومواقفها العديدة. وغالبًا ما يُطلق لفظ الأخلاق على جميع الأفعال الصادرة عن النفس محمودة كانت أم مذمومة، فالمحمودة منها يعرف بالخير، والمذمومة منها يُعرف بالشر. وترمز الأخلاق إلى انتصار الجوانب الإيجابية في الإنسان طلباً للكمال، وتحقيقاً للغايات السامية في الحياة، فهي نوع من الوعي بما ينبغي وبما يجب التماساً للكمال الأخلاقي والكمال الروحي" (وظفة، ٢٠٠٩م، صفحة: ١٤٥). إلا أن مفهوم الأخلاق بات يواجه تحديات حضارية كبيرة، حيث إن مفهومه اللغوي والحضاري يختلف من نطاق لآخر، ففي نطاق العرب والإسلام للأخلاق مفهوم مغاير عن مفهومه عند الغرب، وهذا ما سيتم ذكره فيما يأتي.

المطلب الأول: مفهوم الأخلاق في الحضارة الغربية

تترادف في الثقافة الغربية عدّة كلمات لتدل على مفهوم الثقافة، وهذه الكلمات في مجملها تستخدم عندهم للتعبير عن الأخلاق كنظام أو علم أو فلسفة. وإن مرادفات كلمة الأخلاق عندهم يمكن أن تتمايز عن بعضها البعض بحسب استخداماتها في سياق النص، في حين أنها قد تتجانس فيوظف أحدها بمعنى الأخلاق أو علم أو نظرية الأخلاق أو الأخلاق المهنية. (وظفة، ٢٠١٣م، صفحة: ٩٩) مفهوم الأخلاق في الثقافة الغربية يسيطر عليه الاختلاف في الطابع العام لاستخدام هذا المفهوم، والثقافة الغربية تتناول في الوظيفة الاجتماعية بوصفه نسقاً من القيم التي تمارس وظيفة اجتماعية قوامها المحافظة على تماسك المجتمع ووحدته. وأسس هذا المفهوم عندهم هي أربعة رئيسية وهي: القوة، اللذة، العنصرية والحاجة. ويرى (فرويد) أن اللذة المقصودة هي اللذة الجنسية، في حين كانت أشمل من هذا التفكير، فكان هناك لذة العظمة والواجب وغيرها من أنواع اللذة التي تندرج تحت مفهوم الأخلاق. أما (فرويد) فقرر أن الموجه للسلوك الإنساني هو اللذة الجنسية، وإذا علمنا أنه يُعدُّ الناس أشراراً بطباعهم فإننا بحسب مفهومه، سندرك أن السر في الإباحية العابثة التي تشيع اليوم في المجتمعات الغربية. وأما فلسفة القوة والحاجة فإن الفلاسفة النفعيين أمثال (وليم جيمس) قد أضافوا إليهما فلسفة (المنفعة) "البرجماتيزم"، وقالوا بأن المقياس الأول والأخير للأخلاق هو المصلحة والمنفعة الشخصية. (الطعان، ٢٠١١م، صفحة: ٣٣١). وبالنسبة للعنصرية فقد أضاف (رينان) عليها طابع الخصوصية أكثر مما كانت عليه، وصبغها بصبغة علمية، فقرر أن الجنس السامي دون الجنس الآري في التفكير، وخصص أكثر حتى يستثني اليهود "حين قرر أنه من العبث أن نلتمس لدى العرب آراء علمية أو دروساً فلسفية خصوصاً أن الإسلامي قد ضيق آفاقهم وانتزع من بينهم كل بحث نظري، وأضحى الطفل المسلم يحقر العلم والفلسفة". (مذكور، ١٩٨٣م، صفحة: ١٦)، وطبعاً هذا الكلام منكور ومحض افتراء وتضليل، ولا يستحق الرد عليه. وبهذا تلاحظ الباحثة أنه لمفهوم الأخلاق

أسس عديدة عند الغرب تختلف من فيلسوف ومفكر لآخر، وله ألفاظ عديدة تستخدم وتتداخل في معانيها مع بعضها البعض، فمفهوم الأخلاق غير ثابت وواضح بالنسبة لهم.

المطلب الثاني: مفهوم الأخلاق في الحضارة الإسلامية

الإسلام في حقيقته عقيدة وشريعة وعبادات ومعاملات وأخلاق. فالأخلاق الإسلامية نابعة من الدين، وهي جزء منه، والتدين الحقيقي يورث الأخلاق القويمة السديدة، ولا دين بلا خلق. فالغاية القصوى والأسمى للدين قد حصرها الرسول صلى الله عليه وسلم وقصرها على الأخلاق الصالحة الحميدة (الشرقاوي، ١٩٩٠، صفحة: ١١١)، وذلك بقوله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ". (ابن حنبل، ١٤٠١هـ، جزء: ١٤، صفحة: ٥١٢، حديث رقم: ٨٩٥٢). فالأخلاق في الإسلام، وفي الثقافة العربية هي: "الْخُلُقُ فِي اللُّغَةِ: العادة والطبيعة والدين والمروءة، والجمع: أخلاق، وفي عُرف العلماء: مَلَكَ تُصدر بها عن النفس الأفعال بسهولة من غير تَقَدُّمِ فِكْرٍ وتكلف". (الشهرستاني، ١٩٦٨م، جزء: ٣، صفحة: ٤٢). وتتضح تلقائية وعفوية الفعل الأخلاقي في منظور فخر الدين الرازي الذي يُعرِّف الخُلُق بأنه: "الْخُلُقُ ملكة نفسانية يسهل على المتصف بها الإتيان بالأفعال الجميلة". (الرازي، ١٤١٠هـ، جزء: ٣٠، صفحة: ٦٠١). ويأخذ ابن مسكويه بالتعريف الذي يرى بأن الأخلاق "حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكرٍ ولا روية، وهذه الحال تنقسم إلى قسمين: منها ما يكون طبيعياً من أصل المزاج والسجية والطبع، كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو غضب ويهيج من أقل سبب، وحاله كحال الذي يجن من أيسر شيء أو يفزع من أدنى صوت يطرق سمعه، أو يرتاع من خبر يسمعه، ومنها ما يكون مستقداً بالعادة والتدريب، وربما كان مبدؤه الفكر، ثم يستمر عليه أولاً فاولاً حتى يصير ملكة وخلقاً". (ابن مسكويه، ١٣٩٨هـ، صفحة: ٤١). وبهذا ترى الباحثة من هذه التعاريف أن الأخلاق تتحدد بمعيارين في الثقافة العربية الإسلامية، أحدها الرسوخ والدوام والطبع، والآخر هو التلقائية وصدور السلوكيات من غير انفعال وافتعال. ومن الواضح أن فلسفة الأخلاق في الإسلام مغايرة تماماً عن فلسفة الأخلاق في الغرب، حيث إن فلسفة الأخلاق عند الغرب تهدف ابتداءً إلى وضع أصول النظرية الخلقية، كما تهدف إلى وضع المقاييس الخلقية، وتحديد المثل الأعلى الأخلاقي، كما تحاول التعرف على الإلزام والواجب والمسؤولية الخلقية بالعقل المجرد، أي يمكن القول إنها تهدف إلى وضع نظرية أخلاقية مُستمدة من العقل الإنساني المحض، في منطلقاتها وبواعثها وأسسها وغاياتها. أما فلسفة الأخلاق في الإسلام فإنها جد مختلفة، لأن الإسلام في القرآن والسنة قد أسس الأخلاق الإسلامية، ومن ثم يصبح دور العقل هو الفهم والوعي والموازنة والتحليل والاستنباط لما جاء به القرآن والسنة، بحيث يقف على الحكم والمبادئ والأسس حتى يتعرف على الفضائل وحدودها، والردائل وسمااتها، حتى يفقه المنهج الأخلاقي للإسلام، وهذا ما يُطلق عليه علم الأخلاق أو فلسفة الأخلاق الإسلامية. (الشرقاوي، ١٩٩٠، صفحة: ١١٢). ويُعد بشكل عام علم الأخلاق مفهوم معقد ومركب، ويتضمن العديد من المفاهيم الفرعية المترابطة، والأنساق القيمية المتداخلة والمتغامعة مع النسق العام للأخلاق، ولهذا فإن مفهوم الأخلاق لا يستقيم إلا من خلال التعريف بمضامينه الفرعية، والعناصر الأساسية المكونة له في نسق تكامله الداخلي. ومن المفاهيم الفرعية التي يتضمنها مفهوم الأخلاق نجد مفهوم الخير، وقد جاءت الشريعة الإسلامية أمرة بالخير، ناهية عن المنكر، وأشارت إلى أمور بذاتها عدتها خيراً، وأخرى اعتبرتها شراً، ثم جمعت الخير كله في دائرة واحدة هي المعروف، وطوت الشر كله الذي هو عكس الخير تحت حكم واحد هو المنكر. فالخير هو المعروف أو وجه بارز من وجوه المعروف. (الخطيب، ١٩٨٢م، جزء: ٩، صفحة: ٨٨٨). والخير هو العمل الذي يرضاه الله تعالى، فقال تعالى: ﴿لِيُذَكِّرَ الَّذِينَ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [البقرة: ١١٠] ويعني جلاً ثأؤه، ومهما تعملوا من عمل صالح في أيام حياتكم، فتقدموه قبل وفاتكم ذخراً لأنفسكم في معادكم، تجدوا ثوابه عند ربكم يوم القيامة، فيجازيكم به. (الطبري، ٢٠٠٠م، جزء: ٢، صفحة: ٥٠٥) والخير في الإسلام هو البر، وقد جعل الله تعالى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر أصلاً من أصول البر أي الخير. وجعل الأعمال الصالحة المترتبة على الإيمان والتي هي نتيجة له أصلاً ثانياً للبر أي الخير، فالخير هو ما يهدف إليه الإسلام، والأصول التي يقوم عليها هي الإيمان المجرد ثم إتيان ما يقتضيه الإيمان من الأعمال، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿لِيُذَكِّرَ الَّذِينَ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [البقرة: ١٠٤] فالغاية هي الدعوة إلى الخير والوسائل هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. (عودة، ١٣٩٧هـ، صفحة: ٥١). وبهذا نجد أن هناك مفاهيم مختلفة للأخلاق عند العرب والغرب، ولكل من هذه المفاهيم مفاهيم فرعية تتبثق منها كالضمير والخير، والتي يمكن أن تختلف من مفهوم لآخر بشكلها الظاهري إلا أنها في باطنها ومضمونها واحدة لا تختلف.

المبحث الثاني: التحديات الأخلاقية للمجتمع الإسلامي

إن الواقع الإنساني اليوم، ولأن البشرية بكافة مذاهبها ومشاريعها عجزت عن تحقيق ما تحلم به الإنسانية من سعادة وأمن واستقرار، فكان البديل الوحيد هو الإسلام، يقول مراد هوفمان: "عندما تنافس العالم الغربي والشيوعية على قيادة العالم كان يمكن اعتبار الإسلام نظاماً ثالثاً بينهما، ولكنه

اليوم البديل للنظام الغربي، يتوقع بعض المراقبين بعيدي النظر أن يصبح الإسلام الديانة السائدة في القرن القادم، فليس الإسلام بديلاً من البدائل لنظام ما بعد التصنيع الغربي، بل هو البديل". (هوفمان، ١٩٩٧م، صفحة: ٩). ولكن هناك جملة من التحديات والمعوقات التي تواجه المجتمع المسلم والتي تقف عائقاً أمام الإسلام وانتشاره، وتطبيق مبادئه وأفكاره وخاصة المتعلقة بمفهوم الأخلاق.

المطلب الأول: الغزو الثقافي للمجتمع المسلم

إن فشل الحروب الصليبية في تحقيق أهدافها عن طريق الغزو العسكري، جعلت الغرب يستخلص الدروس والعبر التي تعينه على معرفة الطريقة الجديدة التي يجب أن يتعامل بها مع العالم الإسلامي. حيث أدرك الغرب أن الغزو العسكري لا بدّ مخفوقٌ مهما طال الزمان، ما لم يصحبه غزو ثقافي يزلزل كعامل القوة الكامنة في الإسلام والحضارة الإسلامية، فأجمع الغرب أمره على محاربة الإسلام والمسلمين، وذلك بهدم البنيان من أصوله وجذوره، ومحاربة الإسلام في نفوس أبنائه لزعزعة ثقة المسلمين بدينهم وإبعادهم عنه، وإبعاده عنهم، فيسهل القضاء عليهم مع الزمن. (الطويل، ٢٠١٠م، جزء: ٤، صفحة: ١٠٦). وقد تم تعريف الغزو الثقافي بالعديد من التعاريف منها: الغزو الثقافي: "هو أن تتبنى أمة من الأمم -وبخاصة الأمة الإسلامية- معتقدات وأفكاراً لأمة أخرى من الأمم الكبيرة -وهي غير إسلامية دائماً- دون نظر فاحص، وتأمل دقيق لما يترتب على ذلك التبني من ضياع لحاضر الأمة الإسلامية، وتبديد لمستقبلها، فضلاً عما فيه من صرفها عن منهجها وكتابها وسنة رسولها، وما يترتب على هذا الصرف من ضياع أي ضياع، إذ لا يوجد مذهب سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي يغني الأمة الإسلامية عن منهجها الإلهي، ونظامها الشامل المتكامل في كل زمان ومكان". (حبنكة، ١٩٨١م، صفحة: ٨). الغزو الثقافي هو "مصطلح حديث يعني مجموعة الجهود التي تقوم بها أمة من الأمم للاستيلاء على أمة أخرى أو التأثير عليها حتى تتجه وجهة معينة، وهو أخطر من الغزو العسكري، لأن الغزو الثقافي ينحو إلى السرية وسلوك المسارب الخفية في بادي الأمر، فلا تحس به الأمة المغزوة، ولا تستعد لصدّه والوقوف في وجهه حتى تقع مزية له، وتكون نتيجته أن هذه الأمة تصبح مريضة الفكر والإحساس، تحب ما يريده لها عدوّها أن تحبّه، وتكره ما يريد منه أن تكرهه". (ابن باز، ١٤٠٣هـ، صفحة: ١١٥) الغزو الثقافي: "هو أن تتخذ أمة من الأمم مناهج التربية والتعليم لدولة من الدول الكبيرة، فتطبقها على أبنائها وأجيالها، فتشوّه بذلك فكرهم وتمسح عقولهم، وتخرج بهم إلى الحياة وقد أجادوا بتطبيق هذه المناهج عليهم شيئاً واحداً هو تبعيتهم لأصحاب تلك المناهج الغازية أولاً، ثم يلبس الأمر عليهم بعد ذلك فيحسبون أنهم بذلك على الصواب، ثم يجادلون عمّا حسبوه صواباً، ويدعون إليه". (حبنكة، ١٩٨١م، صفحة: ٩). والغزو الثقافي يتوجّه أول ما يتوجّه إلى العقيدة ليزيقها أو يُنقص منها، أو يزيد عليها، أو يبدلها، أو يعيد تركيبها. ثم يتوجّه إلى العبادة لِيُسَخِّفها، أو يهون من شأنها، أو يقلل من تأثيرها أو يضيف إليها، أو يساوي بينها وبين عبادات مبتدعة. ثم يتوجّه إلى منظومة القيم ليلغي بعضها، ويفرغ بعضها من محتواه، ويزرع في بعضها محتوى جديداً، ويعيد ترتيب أولوياتها. ثم يتوجّه إلى العادات والتقاليد في أسلوب الفرح وأسلوب الحزن، وفي أسلوب الرضا والغضب، وفي شكل الزي، وفي طريقة الحديث، وفي عادات الأكل. إنّه بعبارة حاسمة يقتحم الشخصية، شخصية الفرد والمجتمع. (فرغل، ١٩٩٨م، صفحة: ٣١). لذا على الأمة الإسلامية أن تحتاط وتواجه أي غزو ثقافي يمكن أن تتعرض له، وأن تسعى لأن تكون هي المبادرة بغزو البلدان الأخرى ثقافياً، والعمل على نشر ثقافة وحضارة الإسلام على أكبر نطاق ممكن. ولكن الأمة الإسلامية قد تعرّضت للغزو الثقافي من الغرب، وكان لها رد فعل أمام هذا الغزو والذي كان على ثلاث درجات: الدرجة الأولى: يمكن أن نُطلق عليها درجة الانبهار أو التشكيك، والمقصود بها أن كثيرين من الذين فتحوا أعينهم على ضوء هذا الغزو أصابهم إعجاب الافتتان بحضارة الغزاة، واعتقدوا أنّ لا بعث للأمة الإسلامية إلا بأن تحذو حذو أوروبا حذو الفعل بالفعل، وهم لأنهم تلقنوا أنّ أوروبا لم تنهض إلا بالعلمانية واستبعاد الدين من مجال التوجيه في الحياة الدنيا، أو إسقاط الدين بالكلية، أخذوا يبشرون بالعلمانية في المجتمع الإسلامي، ليتمكن هذا المجتمع أن يضع أقدامه على عتبات التقدم الأوروبي، وهم في هذا كله يملكهم الشك في صلاحية الإسلام للاستمرار. (زرزور، ١٩٩١م، صفحة: ١٧١). الدرجة الثانية: يمكن أن نطلق عليها درجة الدفاع، والمقصود بها أن كثيرين من المسلمين الذين ساءهم حال الأمة الإسلامية لم يتخلصوا من الإعجاب الشديد بما عليه حضارة الغزاة، أخذوا يبحثون عن عوامل النهضة في الحضارة الأوروبية، ويقررون أصولها في الإسلام، دفاعاً في ظنهم عن الإسلام. فإذا كانت الديمقراطية من هذه العوامل تحدّثوا عن "الديمقراطية الإسلامية"، وإذا كانت الاشتراكية تحدّثوا عن "الاشتراكية الإسلامية"، بل لقد بلغ الأمر ببعضهم أن تحدّثوا عمّا يسمونه "علمانية الإسلام" وهم في هذا كله يملكهم التوجّه الأساسي إلى عناصر الثقافة الأوروبية، ولكنهم يتماسكون في موقفهم إزاء الثقافة الإسلامية فلا يفرطون فيها ويظنون أنهم يدافعون عنها، ومع ذلك فهم لا يضيعون الثقافة الإسلامية في وضعها الصحيح، لأنهم بهذا المنهج يغتصبونها لحساب الثقافة الغازية، إذ يجعلون منها مرآة لها، ونمطاً من أنماطها، ويقضون على أصالتها الذاتية. (فرغل، ١٩٩٨م، صفحة: ٣٢). الدرجة الثالثة: درجة الذاتية أو البحث عن الأصول، وهنا نجد طائفة من المفكرين الإسلاميين الذين ساءهم حال الأمة الإسلامية، ولم يأخذهم الإعجاب الشديد بحضارة الغزاة،

وإنما نظروا إليها نظرة نقدية، فوجدوا فيها ما ينفع وما يضر، فتوجهوا إلى البحث عن أصول الثقافة الإسلامية باعتبارها الدافع الحقيقي للنهضة، ليكشفوا عنها الغبار، وليقدموا في أصلاتها الذاتية، وليجعلوها مقياساً يقيسون عليه حضارة الغرب، فما كان متفقاً من هذه الحضارة مع أصول الإسلام شجعوا على الأخذ به، وما كان منها غير متفق نهوا عنه، وهم بين هذا وذاك حريصون على إظهار حقيقة الإسلام ودوره في بناء الحياة، رضى الغزاة عن ذلك أو سخطوا. وهنا نجد الحديث عن النظام السياسي في الإسلام، وأنه نظام خاص بيرا من الدكتاتورية والديمقراطية على السواء، والحديث عن النظام الاقتصادي في الإسلام وأنه نظام خاص كذلك بيرا من الإقطاع والرأسمالية والاحتكار والاشتراكية والشبوعية جميعاً، والحديث عن العلاقة بين الدين والعلم، وأنه في الثقافة الإسلامية لا يتبع الدين العلم، بقدر ما أنه لا يتبع العلم رجال الدين. (زرزور، ١٩٩١م، صفحة: ١٧٩) وترى الباحثة أنه على المجتمع الإسلامي أن يسعى لمواجهة الغزو الثقافي الذي يتعرض له وخاصة في عصرنا الحالي، ويكون ذلك بالكثير من الأمور منها الاستفادة من أساليب العصر في البيان وبخاصة في مجالات الإذاعة وعبر الأقمار الصناعية لإيصال كلمة الحق والخير، والحرص على بيان سماحة الإسلام، وأنه دين الخير والسعادة في الدنيا والآخرة.

المطلب الثاني: الانفتاح على الأفكار الغربية

إن الفكر الإسلامي في العصر الحالي يُعاني من قضية يدور حولها جدل كبير ويحتدم في المخرج منها الخلاف وهي علاقة "الأنا: الحضارية" بـ"الآخر الحضاري"، وعلى وجه التحديد بـ(الآخر الحضاري المهيمن عالمياً وهو الحضارة الغربية). والإسلام بدوره ينظر إلى أن العلاقة بين "الأنا: الحضارية" و"الآخر الحضاري" يجب أن يحكمها قانون التفاعل والتبادل الحضاري، لا التبعية ولا الانغلاق والعزلة. كما أنه يرفض أن يكون النفي والصراع هو طابع العلاقة مع الغير، وهذا ما هو واضح في علاقة الحضارة الغربية مع باقي الحضارات، حيث تعتمد على مبدأ النفي والصراع معهم. فيرى الإسلام أن التوازن بين الفِرَق المتميزين هو مذهبه في العلاقة بين الأمة وغيرها من الأمم، ولهذا استخدم القرآن الكريم مصطلح "الدفع" الذي هو الحركة الاجتماعية التي تتبغى إعادة العلاقات إلى مستوى ولحظة ومقام التوازن ثانية، عندما يسود الظلم بدل العدل، والجور بدل الوسطية...، فقال تعالى: ﴿...﴾ [٣٤] وبذلك أصبحت قضية علاقة "الأنا الحضارية" بـ"الآخر الحضاري" واحدة من قضايا أزمة الفكر الإسلامي المعاصر، لأننا أصبحنا نتعامل من موقع الضعيف المهزوم الذي تحالفت عليه تحديات التخلُّق الموروث، والاستلاب الحضاري الوافد في ركاب الغزاة. (عمارة، ١٩٩٩م، صفحة: ٣٨). ونتيجة لغزو الفكر الغربي وحضارته للحضارة الإسلامية، فقد ظهرت العديد من صور الانحراف عن الفكر الإسلامي الصحيح، ومن أهمها:

أولاً: العقل ومعارضته للنص الشرعي:

نتيجة للغزو الغربي، والاحتكاك بالثقافات الأخرى، التي ابتلعتها الحضارة الإسلامية، فقد تمّ الاعتماد على العقل في العيش وبالتالي إنكار كل ما كان خارجاً عن المألوف كالمعجزات التي أصبحت غير مقبولة وغير منطقية عند النظر إليها بالعقل. فأصبح الإنسان يسعى إلى الاستقلال بعقله، وهذا أمر غير ممكن في التشريع، لذا فكان لا بدّ من معارضته بهدف الشعور بهذا الاستقلال. كما أن العقل أصبح تابعاً للتقليد الأعمى الذي جعل الناس تتعصب لأقوال من يحرر عقولهم وأفكارهم من العلماء والفلاسفة، وأصبحوا يدعون العصمة لغير النبي صلى الله عليه وسلم، واتخذوا الوسطاء شفعاء لهم في الحياة مما أوقعهم في الشرك والضياع. كما أنّ أصحاب العقول الجديدة والتفكير المعاصر أصبحوا ينتكرون الأدلة والحجج العلمية لمعارضة الإعجاز الديني وللوعي لنصرة مذهبهم الخاص، فضلاً عن أنهم باتوا يتهاونون في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمنهم من أنكرها مطلقاً، ومنهم من نفى التشريع عن بعض السنة، ومنهم من وضع شروط مسبقة على السنة أو اعتمد على السنة العملية وتضييق الاستدلال بالقولية منها... إلخ. (العجلان، ٢٠١٥م، صفحة: ٣٥).

ثانياً: التربية المعاصرة والبُعد عن الدين:

حدّد القرآن الكريم عمل النبي صلى الله عليه وسلم بين الناس في ثلاثة عناصر متماسكة هي: تلاوة الآيات، والتزكية (التربية)، والتعليم، فقال تعالى: ﴿...﴾ [البقرة ١٥١] وسعة العلم لا تدل على زكاة القلب وحسن الخلق، فإن النفس الرديئة تستغل ما وهب لها من ذكاء، وما أُتيح لها من إطلاع كي تحقق مآربها الخاصة، فقال تعالى: ﴿...﴾ [الأعراف ١٧٥، ١٧٦] إذاً فالتربية معاناة وتعب، وهي لا تتم إلا بعد مراحل طويلة، والذي يهتم في مجال التربية تكوين الأخلاق الحميدة بكل ما تقرضه العادة على ذوبها من نظام ورتابة، وذلك أن الخلق وحده هو الذي يهزم نوازغ الضعف، ووسوس الهوى. (الغزالي، ١٣٩٩هـ، صفحة: ١٦٤). لهذا اتجه الدين الإسلامي إلى تربية العباد على الأخلاق الفاضلة، كالنظافة والإخلاص والنظام، وربطها بالصلوات

الخمس. وأخلاق الصبر والأمانة والرفق والتحمل والبشاشة أخلاقٌ تُربط إلى جانب الصلاة بالصوم، وغيرها من الأخلاق التي يبينها لنا ديننا من خلال العبادات وكل ما أمرنا به من خلال القرآن والسنة النبوية الشريفة. ولكن مع الأسف في عصرنا الحالي ظهر ما يُسمى بالتربية المعاصرة التي لا تُركز على هذه الأفكار والمبادئ، وأصبح للمجتمع الاشتراكي تقاليد يُربَّن عليها الأجيال الجديدة، وللمجتمع الحر والرأسمالي أخلاق أخرى يشيعها في أكناف بيئته، أي يمكن القول إن الدولة أمسى لها دور كبير في مجال التربية، وللحاكم دخل كبير في تكوين الأخلاق الفردية والجماعية. كما أن التربية المعاصرة لا تحقق للفرد التوازن بين الإرادات النبيلة العازمة والقدرات التخيرية، فيحدث الاضطراب في التفكير والعواطف، والمشاعر والسلوك، وينشأ التخبط في إصدار الأحكام، واتخاذ القرارات وتنفيذها، وتتكرر مواقف الإحباط والفشل مما يؤثر سلباً على اتجاهات الأفراد والجماعات، ويؤدي إلى فقدان الثقة بالمثل الأعلى، فتضعف الإرادة العازمة النبيلة، وتقصر عن مستوى التضحية بالمال والنفس، ويتراجع الفرد إلى إرادات الحفاظ على الجسد والنوع، ويقعد عن العمل العام، ويتوقف عن المشاركة في الجهاد، وهذه حال الشعوب الإسلامية المعاصرة. (الكيلاني، ١٩٨٨م، صفحة: ١٥١). ولهذا فعلينا كمسلمين أن نوثق أواصرنا بالإسلام، ونُحسن فقهه وسلوكه، وألا نفقد الاندفاع الذاتي بقوانا الخاصة لكي لا تتمكن التيارات الوافدة الغربية في أن تجرفنا هنا وهناك، وأن نعود إلى إسلامنا الحق، والتربية الإسلامية الصحيحة عودة الروح إلى الكيان الهامد.

ثالثاً: الانحراف بالخلاف الفقهي عن التسليم للنص الشرعي:

أدى الغزو الغربي للحضارة الإسلامية إلى حدوث تفرقة في الفكر الإسلامي، وظهر خلافات فقهية متضاربة شتتت العباد، وجعلت مجموعات منهم يعارضون النصوص الشرعية ولا يسلمون لها. ومن الانحرافات والأخطاء التي حصلت منذ القدم، وفي العصر الحديث والتي كانت سبباً في عدم التسليم للنص الشرعي نجد: **التعصب الفقهي**: وهو مرضٌ يُبتلى به العلماء أو أتباعهم، فيتعصبون لإمام أو مذهب أو قول أو ترجيح معين يدفعهم لأن يتهاونوا في اتباع الدليل، ويُضعف من كمال التسليم في القلب. وقد يكون هذا التعصب ظاهراً وهذا انحراف ظاهر، وقد يكون خفياً لا يبصره الإنسان، فيكون مبتلياً به دون أن يشعر، فيوجهه بشكل خفي لقبول بعض الأدلة أو ردّها وهو يظن أنه منطلقٌ من الدليل. كما أن التعصب قد يؤدي إلى تجاوز أحكام شرعية عديدة في حقوق الأخوة الإسلامية لدى من يخالفه من الفقهاء، فيكون سبباً لتكفيرهم أو عقوبتهم بلا سبب شرعي إلا التعصب للأقوال والمذاهب. كما أن المتعصب يحرم نفسه من ثمرات وفوائد الخلاف الفقهي، فمن يطلع على كافة المذاهب تظهر له السنة كلّها. (العجلان، ٢٠١٥م، صفحة: ٢٤٠) قال ابن تيمية في ذلك: "والذين يحبون بعض المشروع ويكرهون بعضه فإن الله سبحانه يُقيّم طائفة تقول هذا، وطائفة تقول هذا ويتنازعون، فإنه بسبب النزاع تُظهر كل طائفة من السنة ما قالت به، وتركته الأخرى". (ابن تيمية، ١٩٩٥م، جزء: ٢٢، صفحة: ٣٤٩). ولهذا فإن التعصب له دور سلبي عميق على التفريط في أصل التسليم للنص الشرعي. **الاختلاف والتفرق**: عندما يكون الخلاف الفقهي سبباً للاختلاف والتفرق فيكونوا بسببه قد انصرفوا عن جادة الخلاف الفقهي المسلم للدليل الشرعي، فمسائل الفقه هي من مسائل الإسلام، فالواجب أن لا تكون سبباً للتفرق والاختلاف، فالتفرق مذموم (العجلان، ٢٠١٥م، صفحة: ٢٤٣). **الترخّص واتباع الهوى**: فالمسلم يتبع الدليل لا الرخص، ويسير باحثاً عن مراد الله لا منقاداً لأهوائه، واتباع الهوى قضية قلبية لا يفتن لها الناس غالباً، وإنما هي ديانة بين العبد وربّه، وهذا يعظم مسؤولية العبد عن الأقوال التي يختارها أو يرحجها، فلا يستطيع العبد اعتماد الأقوال المخالفة للدليل أو التي تعتبر شاذة فهي من قبيل الزلة من العالم، ولم تصدر في الحقيقة عن اجتهاد، ولا هي من مسائل الاجتهاد. (الشاطبي، ١٩٩٧م، جزء: ٥، صفحة: ١٣٩) نجد أن الانفتاح على أفكار الغرب، وسعيهم الكبير لغزو الفكر الإسلامي، وإبعاده عن دربه الصحيح، ومنعه من الانتشار قد كان له آثاراً سلبية واضحة وكبيرة على الدين الإسلامي في الجوانب التربوية والسياسية والمالية... إلخ، مما سبب بانحراف العباد عن مبادئه وأفكاره، وابتعادهم عن الأخلاق الحميدة التي يدعوهم دينهم إلى التحلي بها والعمل بمبادئها في حياتهم وعلاقاتهم فيما بينهم، وكل ذلك يعود إلى تربية المجتمع الإسلامي تربية في ظاهرها عربية إسلامية وفي باطنها غربية مبتعدة كل البعد عن الدين الإسلامي وما جاء به من فضائل وحكم وأسس دينية حقّة. وبهذا ترى الباحثة أن المجتمع المسلم يُعاني من تحديات عديدة على أصعدة مختلفة تقوم بمجموعها بإبعاده عن الطريق الإسلامي القويم، ولهذا يجب أن تُبذل الجهود البالغة لتربية المجتمع المسلم بطريقة صحيحة تُرجعه إلى عمق الإسلام وأسسها وترعرعها في جوفه بقوة وإصرار.

الخاتمة

تناول هذا البحث الأخلاق بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية، وقد توصل البحث في نهايته إلى النتائج الآتية:

١. إن لمفهوم الأخلاق اختلافات بين نظرة العرب له وبين نظرة الغرب، كما أنه في المنظور الغربي له أسس عديدة تختلف من فيلسوف لآخر، ومن مفكر لآخر، فضلاً عن اختلاف تسميات هذا المفهوم فيما بينهم مما يؤدي إلى تداخل معانيها مع بعضها البعض.

٢. للأخلاق عند العرب والغرب مفاهيم فرعية منبثقة من المفهوم الرئيسي، ومن هذه المفاهيم الخير والضمير، ويختلف كل من العرب والغرب في فكرته عن هذه المفاهيم الفرعية، وكل هذا يجعل مفهوم الأخلاق غير ثابت وغير واضح.
٣. اجتاحت الغرب البلدان العربية المسلمة وعملوا على نشر ثقافتهم ومبادئهم عندهم ليضعفوا أسس الدين الإسلامي فيهم، ويسيطروا عليهم ويتأكدوا من تبعيتهم إليهم، فنشروا عندهم مناهجهم التربوية، وتعاليمهم الدينية، وثقافتهم التي تدعو إلى الحرية البعيدة كل البعد عن دين الإسلام وأخلاقه وأسسها. وتوصي الباحثة بأهمية غرس أسس العقيدة الإسلامية في نفوس الشباب المسلم، ليكونوا مطمئنين من أنها ستبقى مغروسة في أعماقهم مهما تعرضوا لأفكار مخالفة لها في دولهم أو دول الغرب.

قائمة المصادر والمراجع

١. ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله، الغزو الفكري ووسائله، مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٥ (٥٩)، ١٤٠٣هـ.
٢. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم الحراني، مجموع الفتاوى، ط١، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.
٣. ابن مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، الإسكندرية، مصر، ١٣٩٨هـ.
٤. حبنكة، عبد الرحمن حسن الميداني، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، ط١، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.
٥. الخطيب، عبد الكريم يونس، التفسير القرآني للقرآن، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة.
٦. زرزور، عدنان، في الفكر والثقافة الإسلامية، ط١، المكتب الإسلامي للنشر، بيروت، ١٩٩١م.
٧. الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي، الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط١، دار ابن عفان، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.
٨. الشرقاوي، محمد عبد الله، الفكر الأخلاقي، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.
٩. الشهرستاني، أبو الفتح، ط١، مؤسسة الحلبي، بيروت، ١٣٨٧هـ، ١٩٦٨م.
١٠. الطبري، محمد بن جرير، المتوفى ٣١٠هـ، جامع البيان في تأويل القرآن، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.
١١. الطعان، أحمد إدريس، أخلاق القوة بين المفهوم الإسلامي والغربي، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، ٢٧ (٣)، ٢٠١١م.
١٢. الطويل، يوسف العاصي إبراهيم، الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم "الجزور - الممارسة - سبل المواجهة"، ط٢، صوت القلم العربي، مصر، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.
١٣. العجلان، فهد بن صالح، التسليم للنص الشرعي والمعارضات الفكرية المعاصرة، ط٢، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، المملكة العربية السعودية، ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م.
١٤. عمارة، محمد، أزمة الفكر الإسلامي المعاصر، ط١، دار الشرق الأوسط، القاهرة، مصر، ٢٠٢٠م.
١٥. عودة، عبد القادر، المال والحكم في الإسلام، ط٥، المختار الإسلامي للنشر، القاهرة، ١٣٩٧هـ.
١٦. فرغل، يحيى هاشم حسن، الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، مطبوعات جامعة الإمارات العربية المتحدة، الإمارات العربية المتحدة، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.
١٧. الكيلاني، ماجد عرسان الأردني، أهداف التربية الإسلامية، ط١، دار القلم، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.
١٨. مذكور، إبراهيم، في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق، المكتب المصري للنشر والطباعة، القاهرة، ١٩٨٣م.
١٩. هوفمان، مراد، الإسلام كبديل، ترجمة: عادل المعلم، ط١، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٧م.
٢٠. وطفة، علي أسعد، التربية الأخلاقية في منظور دوركهايم، مجلة التربية القطرية، ٢٠٠٩م، ١٧٠.
٢١. وطفة، علي أسعد، في مفهوم الأخلاق: قراءة فلسفية معاصرة، مجلة شؤون اجتماعية، ٢٠١٣م، ٣٠ (١١٩).

References

1. Al-Ajlan, Fahd bin Saleh, Submission to the Shari'ah Text and Contemporary Intellectual Oppositions, 2nd Edition, Al-Taaseel Center for Studies and Research, Saudi Arabia, 1436 AH, 2015.

2. Al-Khatib, Abdul Karim Younis, The Qur'anic Interpretation of the Qur'an, 1st edition, Dar Al-Fikr Al-Arabi, Cairo.
3. Al-Kilani, Majid Arsan Al-Ardani, The Objectives of Islamic Education, 1st edition, Dar Al-Qalam, 1408 AH, 1988.
4. Al-Shahristani, Abu al-Fath, 1st edition, Al-Halabi Foundation, Beirut, 1387 AH, 1968.
5. Al-Sharqawi, Muhammad Abdullah, Al-Fikr al-Akhlaqi, T1, Dar al-Jil, Beirut, 1410 AH, 1990.
6. Al-Shatibi, Abu Ishaq Ibrahim Ibn Musa Ibn Muhammad al-Lakhmi, Al-Muwafaqat, edited by: Abu Ubaidah Mashhour bin Hassan Al-Salman, 1st edition, Dar Ibn Affan, 1417 AH, 1997 AD.
7. Al-Ta'an, Ahmed Idris, Ethics of Power between Islamic and Western Concepts, Damascus University Journal of Economic and Legal Sciences, 27(3), 2011.
8. Al-Tabari, Muhammad ibn Jarir, d. 310 AH, Jameh al-Bayan fi Tawheel al-Qur'an, 1st edition, Al-Risala Foundation, 1420 AH, 2000.
9. Al-Tawil, Youssef Al-Asi Ibrahim, The Crusade against the Islamic World and the World "Roots - Practice - Means of Confrontation", 2nd edition, Sawt Al-Qalam Al-Arabi, Egypt, 1431 A.H., 2010.
10. Amara, Muhammad, The Crisis of Contemporary Islamic Thought, 1st edition, Dar Al-Sharq Al-Awsat, Cairo, Egypt, 2020.
11. Farghal, Yahya Hashim Hassan, Contemporary Thought in the Light of Islamic Doctrine, United Arab Emirates University Publications, United Arab Emirates, 1419 AH, 1998 AD.
12. Habankah, Abd al-Rahman Hassan al-Midani, Intellectual Invasion and Anti-Islamic Currents, 1st edition, Imam Muhammad bin Saud Islamic University, 1401 AH, 1981.
13. Hoffman, Murad, Islam as an Alternative, translated by: Adel Al-Moallem, 1st edition, Dar Al-Shorouk, Cairo, 1997.
14. Ibn Baz, Abdul Aziz bin Abdullah, Intellectual Invasion and its Means, Islamic University Journal, Medina, 15(59), 1403 AH.
15. Ibn Miskawiya, Tahdhib al-Akhlaq and Tahrir al-Araq, 1st edition, Library of Religious Culture, Alexandria, Egypt, 1398 AH.
16. Ibn Taymiyyah, Taqi al-Din Abu al-Abbas Ahmad ibn Abd al-Halim al-Harani, Total Fatawa, 1st edition, King Fahd Complex for Printing the Holy Qur'an, Medina, Saudi Arabia, 1416 AH, 1995.
17. Madkour, Ibrahim, In Islamic Philosophy, Methodology and Application, Egyptian Office for Publishing and Printing, Cairo, 1983.
18. Odeh, Abdul Qadir, Money and Governance in Islam, 5th edition, Al-Mukhtar Al-Islami for Publishing, Cairo, 1397 AH.
19. Watfa, Ali Asaad, Moral Education in Durkheim's Perspective, Qatari Education Journal, 2009, 170.
20. Watfa, Ali Asaad, On the Concept of Morality: A Contemporary Philosophical Reading, Journal of Social Affairs, 2013, 30 (119).
21. Zarzour, Adnan, In Islamic thought and culture, 1st edition, Islamic Publishing Office, Beirut, 1991.